المكتبة القبطية على الانترنت

http://copticlibrary.110mb.com

عطايا الميلاد للانسان

الأنبا موسى
الأسقف العام

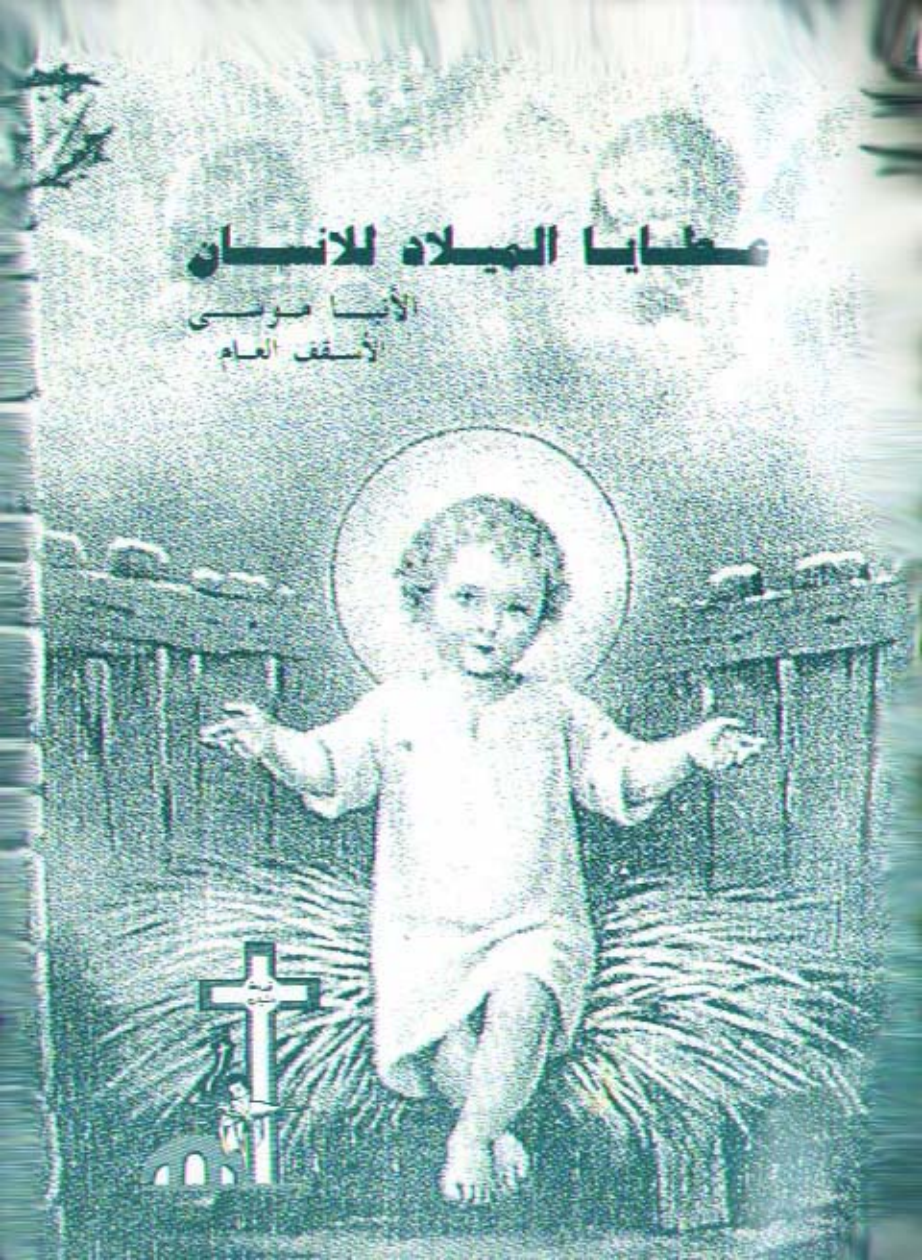

عطايا الميلاد للانسان

+ النور ...
+ الخلاص ...
+ المجد ...

الأنبا موسى
الأسقف العام

البابا شنوده الثالث

١

مع نسمات العيد

عطايا الميلاد

لا شك أن ميلاد السيد المسيح أصبح « عيد ميلاد الإنسان » ! فلولا تجسد الرب يسوع من أجل خلاصنا ، لظل الإنسان أسير الظلمة والهوان والموت . ان السيد المسيح بتجسده المجيد ، فتح أمام البشرية الباب **الوحيد** الذى من خلاله تحقق ذاتها ، ومعنى وجودها ، وامكانية سعادتها وتجليها ، ومجدها الأسنى .

ترى ... كيف صار عيد ميلاد المسيح ، عيد ميلاد الإنسان ؟

\+ — +

هوان الخطيئة :

سقط الإنسان وهان على الشيطان ، وانطرح متكفئاً على ذاته ، يجتر آلام الندم ، ويحيا هوان الخطيئة .

وهل هناك هوان ، أكبر من الانفصال عن الله ؟
وهل هناك هوان ، أشد من طرده من الفردوس ؟

أو من ارتباك مكوناته ، فبدل أن تقوده الروح الكامنه فيه ، صار يقوده الشيطان الكاره له ، أو الغريزة المتمردة فى داخله ؟

جاءت وطأة الشهوة ، فبدل أن يحيا آدم وحواء علاقة حب روحي طاهر ، صارت جسدانية الحسّ ، هي المتحكمة فيهما !! وبدل أن يتشربا الحب الإلهي النقي ، المعطاء ، السخي ، جاءت الأنانية لتفتل هابيل البار !! وبدل أن يتم التزاوج على أساس مقدس ، « أحب أولاد الله بنات الناس » !!

لقد أصيبت ، الطبيعة البشرية بالتلوث والفساد !! وخرج آدم وحواء يفلحان الأرض ، فصارت أعينهما متجهة إلى التراب الذى خلقا منه (جسديا) ، وليس إلى السماء حيث النفخة الإلهية القدسية ، التى جعلت من التراب نفسا حية !!

وتمردت الطبيعة !!
وتمرد الحيوان !!

وفقد « كاهن الخليقة » سلطانه على كل شيء ، حتى صار « فيروس » بسيط ، قادراً على قتله !!

أى هوان هذا ؟!
إنها ثمار الخطيئة !!

+ - +

رجاء الخلاص :

لكن شكراً لله ، الذى لم يقف بنا عندما وقفنا ، بل إنه رفع آدم وحواء من طين الهوان واليأس ، واضعا أمام أبصارهم رجاء الخلاص ، وصورة اخلص !! سوف يأتى من نسل المرأة الذى يسحق

رأس الحية !!! ولن يكون خلاص الإنسان سهلاً ، فإن هذا القدير الآتى من نسل المرأة ، والقادر (بلاهوته) على سحق الحية ، سوف « تسحق الحية عقبه » ، أى أنه سيتألم ويصلب (بناسوته) فالخلاص هنا — كما يتضح من النبوة — كائن فريد ، ناسوته من حواء ، ولاهوته غير محدود ، وسوف تتحد الطبيعتان فى طبيعة واحدة ، تتصل إلى (وحيد الجنس (أى الفريد فى طبيعته ، والذى لا يوجد من) جنسه » سواه !!

وعاشت البشرية آلاف السنين ، فى انتظار هذا المخلص . المسيا المنتظر !! عاشت فى أنين الخطية . ويقين الإيمان !! عاشت تصرخ مع أيوب : « ***ليس بيننا مصالح ، يضع يده على كلينا*** » (أى ٩:٣٣) . وتئن مع أشعياء : « ***فرأى أنه ليس إنسان ، وتحير من أنه ليس شفيع .. ليتك تشق السموات وتنزل*** » (أش ٥٩:١٦ ، ٦٤:١) .

وجاء المسيح ...

وجاءت معه عطاياه للإنسان :

+ النور ...
– الخلاص ...
– المجد ...

١ – **النور** ... فهو الذى أشرق علينا نحن الجالسين فى الظلمة ... وبنوره عرفنا النور ... كان نوراً لمعلم : بأقواله الفريدة ، وتعاليمه القدسية . وإرشاداته الحكيمة ... فعرف الإنسان طريق النور ... فصار نوراً !! استضاء ذهن الإنسان ... واستنار قلبه ... من تواتر عشرته مع المخلص الصالح ، والمعلم الحبيب !

وترك لنا الرب « مثالاً » و« اكليلاً » ... المثال : نقتدى به ، والإكليل : نتعلم منه ونستنير بكمالاته !

٢ + **الخلاص** ... فهو « مخلص العالم » ... « صعدت فعنيج » العهد الجديد ... لأن يوسف دعى هكذا من فرعون إذ أنقذ الناس من موت الجوع المادى ... والمسيح أنقذنا من موت الجوع الروحى ... إنه آدم الثانى ... فالأول به متنا ، والثانى به نحيا ونخلص !! ولم يكن خلاصنا سهلاً ... فقد كلفه دمه الكريم ، وجسده المكسور !!

٣ + **المجد** ... فهو أصل المجد ... ومعطى المجد لأولاده !! هو تعالى فى سماء السموات ... نزل إلى أقسام الأرض السفلى ... وصعد بالإنسان إلى أعالى أورشليم السمائية ... بل إلى شركة الطبيعة الإلهية ، وميراث الخلود الذى لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل !!

هيا معاً إلى هذه العطايا ... نتأملها ... لنقتنيها !!

٢

ميلاد المسيح أعطانا ...

النـــور

« الشعب الجالس فى الظلمة ، أبصر نوراً عظيماً »
(مت ٤: ١٦)

بهذه الكلمات ، شرح الوحى الإلهى هدفاً جوهرياً ، من أهداف التجسد العتيد . ذلك أن الإنسان — منذ سقط — دخل إلى عالم الظلمة ، ظلمة الخطية والأنفصال عن الله . وكيف لا ، و« الله نور » وساكن فى النور ، وتسبحه ملائكة النور ... كما نتشد فى التسبحة الكنسية ... وكما نقرأ فى كلمات الكتاب « **الله نور وليس فيه ظلمة البتة** » (١يو ١: ٥) ... وهو « **ساكن فى نور ، لا يدنى منه** » (١تى ٦: ١٦) .

لهذا فالخطية هى الظلمة ، ظلمة الانفصال عن الله النور ، وظلمة العمى الروحى ، عمى البصيرة الذى ينبع ذلك . والخاطىء بالفعل إنسان أعمى ، لا يرى نفسه ، ولا يرى الله ، ولا يرى الطريق . وهكذا يتخبط حتى إلى الموت والهوية . أما الإنسان التائب ، فتزول العتاوة عن عينيه ، وهكذا يرشده روح الله ، إلى طريق الخلاص ، وإلى المسيح المخلص .

أم بقل الرب حين جاء إلينا فى عالمنا الترابى : « **أنا هو نور العالم . من يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة ، بل يكون له نور الحياة** » (يو ٨: ١٢) ؟! « **النور قد جاء إلى العالم ، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة . لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور ، ولا يأتى إلى النور لئلا توبخ أعماله . أما من يفعل الحق ، فيقبل إلى النور : لكى تظهر أعماله أنها بالله معمولة** » (يو ٣: ١٩ــ ٢١) .

\+ + +

الجالسون فى الظلمة :

كانت البشرية تروح تحت نير ثقيل من الظلمة ، قبل أن يجىء إليها نور الحياة ، الإله الظاهر فى الجسد . وكانت هذه الظلمة زوايا كثيرة منها :

١ ــ ظلمة العقل :

حيث عاشت البشرية قرونا تتصور الإله وثنا تتعبّد له تارة فى شكل صنم من حجر أو ذهب ، وأخرى فى شكل مخلوق قوى كالعجل أبيس أو الحية ، وثالثة فى صورة إحدى مخلوقات الله الأساسية لحياة البشر كالشمس أو البحر أو النار ... وهكذا تخبطت الوثنية مجاهدة فى اكتشاف الإله القدير ، ولم تحس بشبع أو استنارة أو وصول ، فعبدت « إلهاً مجهولاً » كما فى أثينا . أيام الرسول بولس .

٢ ــ ظلمة الغريزة :

تفرط عقل الإنسان ، وتدثرت مكوناته ، وتضاربت جزئياته . فبينما

امتلك مصيراً يرشده إلى الخير ، ثارت فيه غرائز تقوده إلى الشر ، لم يستطع ضبط مسارها ولا توجيه طاقتها المقدسة . فقرأنا عن غريزة المقاتلة وهي تقتل هابيل . وغريزة الجنس وهي تسحب بني الله نحو بنات الناس ، وأمنون نحو تامار أخته . وغريزة التملك وهي تدفع الناس إلى حروب طاحنة ، تأتي على الأخضر واليابس ... .

وما تشهده الآن من حروب مجنونة ، وذاتية بغيضة ، وإنحراف دنس ، إنما تكرار ما عاشته البشرية قبل المسيح ، وما يمكن أن تعيشه الآن بدون المسيح ، حينما تتخلى عنه ، ولا تؤمن به . ولكن بأسحنة أكثر فتكا !!

٣ ــ طلمة الخطيئة :

سيطر عدو الخير على الإنسانية ، وأعطاها قدرة « أختراع الشرور » ، فسمعنا عن موبقات كثيرة ، حاول الرسول بولس أن يذكر بعضها في الأصحاح الأول من رسالته إلى كنيسة رومية : « ***لأن غضب الله معلن من السماء ، على جميع فجور الناس وإثمهم ، الذين يحجزون الحق بالإثم ... ابدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى ، والطيور ، والدواب ، والزحافات . لذلك أسلمهم الله أيضا من شهوات قلوبهم إلى النجاسة ، لإهانة أجسادهم بين ذواتهم ... الذين أستبدلوا حق الله بالكذب ، واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق ... اسلمهم الله إلى أهواء الهوان ... اسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا مالا يليق ، مملوئين من كل إثم ، وزنا ، وشر ، وطمع ، وخبث ، مشحونين حسدا ، وقتلا ، وخصاما ، ومكرا ، وسوءا ... الخ*** » (رومية ١ : ١٨ إلى ٣٢) .

أشرق عليهم نور :

عاشت البشرية قبل المسيح على « شموع » خافته مثل :

١ ــ كلمات الأنبياء :

الذين كانوا يشرقون على البشرية (فى عالم محدود هو عالم اليهود) ، ومن آن لآخر ، ليعلموهم طريق الرب ، وضرورة الخضوع للناموس الإلهى ، والناموس الأخلاق . وتكاثرت الشرائع : والطقوس ، والذبائح ، والاغتسالات ، والفرائض ، لعلها تصنع شيئاً فى الإنسان ، تطهره وتنيره . ولكن هيهات ، فمع أن الكلمات إلهية ، والأنبياء مخلصون ، والنوايا البشرية حسنة فى مجملها . إلا أن الطبيعة التى فسدت ، تحتاج إلى تجديد شامل ، والعين الرمداء تحتاج إلى طبيب شافٍ ؛ بل إلى خالق يعيد إليها إبصارها المفقود !!

ما أكثر النبوات التى تحدثت عن المخلص ، والتى جعلت البشرية تلح فى ظهوره ، وتتعجل مجيئه !! حتى يلغام النبى الكذاب المحرف ، سمح الرب باستخدامه ، ليشرق من خلاله بقبس من نور على البشرية الساقطة فى الظلمة . وإذا رأى الرب من بعيد قال : « ***أراه ولكن ليس الآن ابصره ولكن ليس قريباً . يبرز كوكب من يعقوب*** ... » (عدد ٢٤ : ١٧) . وأزداد الأنين ، وكثر الحنين ، لمجيء المخلص !!

\- + +

٢ ــ إرهاصات الفلاسفة :

شمعة أخرى أضاءت فى سماء البشرية ، هى إرهاصات الفلاسفة فى الأمم المختلفة . فصرنا نسمع عن فلاسفة الشرق والغرب ، يتنون فى

انتظار المخلص البطل . وصرنا نشهد فى مصرنا الحبيبة اخناتون العظيم ، وهو يؤمن بالإله الواحد ، الروح الخالد ، الذى يتعالى فوق كل الوجود ، لأنه أصل الوجود .

ولقد دعى القديس كليمنضس الاسكندرى ، مدير مدرسة الاسكندرية اللاهوتية ، هؤلاء الفلاسفة باسم « انبياء الوثنية » ، بمعنى أن روح الله عمل فيهم ، بسبب شغفهم بالحق ، ورغبتهم فى الوصول إلى الخالق ، وشوقهم إلى المخلص ، عمل فيهم فعرفو شيئ عن « المسيا المنتظر » ، كلغز أو كشمعة .

ولا شك أن المجوس كانوا خير شاهد على هذ الكلام ، إذ عاشوا مئات السنين — بعد نبوة بلعام — فى انتظار نجم مضيىء ... إيمان منهم بأن الإله النور ، لابد أن يوفى بوعده ، وأن يبزغ كوكب من يعقوب !

\+ + —

وجـاء النـور :

فاقترب حين ولد « أضاء » مجد الرب حول الرعاة وسمعوا البشارة . ولما حمله سمعان الشيخ على ذراعيه قال : « ***الآن تطلق عبدك ياسيد بسلام . لأن عينى قد أبصرتا خلاصك . الذى أعددته قدام وجه جميع الشعوب ... نور إعلان للأمم ، ومجداً لشعبك إسرائيل*** » (لو ٢ : ٢٩ — ٣٢) .

بل إن الرب قال عن نفسه : « ***أنا هو نور العالم*** » (يو ٨ : ١٢) . لأنه الطريق إلى رؤية الإله ، وشركة الطبيعة الإلهية ، والسكن فى مساكن النور .

والقديس أثناسيوس يرى فى تجسد الرب « المعلم الصالح » ، الذى لم ينتظر أن يرتفع تلاميذه الخطاة الصغار إلى مستواه السماوى ، فهذا مستحيل ؟! بل نزل إليهم ، وإلى مستواهم البشرى الحسى ، دون التدنى إلى الخطيئة ، ليحملهم من طين الظلمة إلى عالم النور ، وليعرفهم بالإله الحقيقى ، والرب المتجسد ، والروح المعزى ، والأبدية السعيدة .

\+ — +

النور أشرق من مريم :

لهذا ترتل الكنيسة قائلة : « لله هو النور ، وساكن فى النور ، وتسبحة ملائكة النور . النور أشرق من مريم ، وليصابات ولدت السابق (المعمدان) . الروح القدس أيقظ داود قائلاً : « قم رتل ، لأن النور قد أشرق » . فقام داود المرتل ، وأخذ قيثارته الروحانية ، ومضى إلى الكنيسة بيت الملائكة ، وسبح ورتل للثالوث القدوس قائلاً : « بوركك يارب نعاين النور ، فمنك أشرقت رحمتك على الذين يعرفونك ، أيها النور الحقيقى الذى يضيء كل انسان آت إلى العالم ، أتيت إلى العالم بمحبتك للبشر ، وكل الخليقة تهتف بمحبتك . خلصت أبانا آدم من الغواية ، وعتقت أمنا حواء من ظلمات الموت ، وأعطيتنا روح البنوة ، نسبحك ونباركك مع الملائكة . بالحقيقة تباركت أيها المسيح إلهنا ، مع أبيك الصالح ، والروح القدس ، لأنك أتيت وخلصتنا » .

ولعلنا نلاحظ أن الكنيسة علمتنا أن نقتبس جزءاً من هذه التسبحة ، فى طلبة صلاة باكر ، لتستيقظ الروح مع الجسد ، وليشرق نور الإله فى داخل قلوبنا ، مع نور النهار !

وبعـد ...

أيها القارىء الحبيب ...
ها قد أشرق الرب يسوع ...
نوراً لحياتك ...
وسراجاً لطريقك ...
وشمساً للبر ، تشفيك من كل أدواء الروح ...
تعال إلى الرب ...
وأربط حياتك به ..
فهو الحياة الحقة ، والسعادة الأبدية ...
هو النور ... الذى يجعلك نوراً !!
وهو الشمس ... الذى يجعلك طاهراً كالشمس !!
فهل تقبل ؟! هيا إلى جلسة معه ، تعقبها جلسة مع أبيك الروحى ...
والرب معك !

٣

ميلاد المسيح أعطانا ...

الخـــلاص

« ولد لكم اليوم مخلص »
(لو ٢ : ١١)

بميلاد المسيح ولد الخلاص ...
بل ولد الخلاص ...
فلا خلاص دون فداء ...
ولا فداء دون تجسد ...
ولا تجسد دون ميلاد !!

\+ + +

ربما يعترض قارىء فيقول : يمكن أن يكون هناك تجسد دون ميلاد !! فطالما ظهر الله فى أشكال حسية فى العهد القديم ... مرة فى صورة إنسان ، وأخرى فى صورة ملاك ، وثالثة فى صورة نار ... وهكذا .

عجيب قائلين : ليست المشكلة مشكلة تجسد ، بل مشكلة تأنس !! وفرق شاسع بين التجسد والتأنس !! فالتجسد هو اكتساب بعد حسىّ . أو الظهور بأسلوب محسوس ، مرئى ، مسموع أو ملموس !!

أما التأنس فهو إتحاد الطبيعة الإلهية بالطبيعة الإنسانية ، بكامل مشتملاتها من جسد ، ونفس إنسانية ، وروح إنسانية ، دون التنوت بفساد الخطيئة !!

لقد جاء الرب ليخلص الإنسان ...
هذا وجب أن يتحد بطبيعة الإنسان ...
وهذا أيضا نصرح في القداس الإلهي ونقول :
« تجسد ، وتأنس »
وفي قانون الإيمان نهتف أيضا ونؤكد :
« تجسد ، وتأنس »

وكيف يتأنس الرب ، ما لم يولد من طبيعتنا ؟! ويأخذ جسم بشريتنا ؟! وهذا ما أخذه من العذراء !!

\+ — +

تجسد وتأنس :

فأقنوم الكلمة ، الابن الإله ، النور المولود من نور ، منذ الأزل وقبل كل الدهور ، الكائن قبل كل الخليقة ، الإله الحق ، من الإله الحق ، المولود من الآب قبل كل الدهور ولادة النور من النار :

+ **بلا فارق زمني** ... فهل هناك فارق زمني بين صدور النور وظهور النار ؟! إذا أضأت شمعة مثلاً أيهما يسبق الآخر : النور أم النار ؟ ألا يظهر الاثنان معاً ؟!

+ **وبلا انفصال** ... فهي ولادة معنوية روحانية ، وحين يولد النور

من النار . هل يحدث انفصال ؟ هل نستطيع أن نفصل النور عن النار ؟! مستحيل !!

الأقنوم الكلمة ، الحكمة الإلهية ، حلّ فى أحشاء مريم ، واتخذ له جسداً ، منها . agiazo حيث أن روح الله قدسها وطهرها وجعل المادة التى ستأتى من أحشاء مريم إلى الجنين الذى فى بطنها ، مادة مقدسة لا تحمل فساد الخطية !! فخرج الابن الكلمة ، المسيا المنتظر ، الإله المتجسد ، الكلمة المتأنس ، إلهاً ظاهراً فى الجسد ، يمنح التقوى للإنسان « **عظيم هو سر التقوى ، الله ظهر فى الجسد** » (١تى ٣:١٦) ، ولاحظ هنا الربط بين « التقوى » البشرية ، وبين « ظهور الله فى جسد إنسان » ... فهذا التجسد الإلهى ، هو الذى مكّن إلهنا المحب ، من :

١ ــ أن **يظهر** بيننا فنقول : « **رأينا مجده** » ، « **شاهدناه ولمسته أيدينا** » (يو ١:١٤) ، (١يو ١:١) .

٢ ــ أن ينزل إلى ضعفنا **ويعلمنا** كمعلم ينزل إلى مستوى تلاميذه الأرضيين الحسيين .

٣ ــ أن يصعد على عود الصليب **ويفدينا** ، مقدماً ناسوته ــ المتحد بلاهوته ــ إلى الموت عوضا عنا ، ثم مقيما إياه من الموت ليقيمنا معه .

٤ ــ أن **يجعلنا شركاء الطبيعة الإلهية** ، بمعنى أن يسكن الإله فينا ، لنسكن فى عرش نعمته ، وندخل إلى عمق أبديته وخلوده « **أخذ الذى لنا ، وأعطانا الذى له** » (القديس اثناسيوس) ، أى أنه

أخذ بشريتنا ، وأعطانا « **شركة طبيعته الإلهية** » (أنظر ٢بط ١: ٣) .

\+ + +

كيف الخلاص ؟

الخلاص فى مفهوم كنيستنا القبطية الأرثوذكسية عملية تستمر طول العمر ، تبدأ بالمعمودية ، وتكتمل بالتوبة ، وتختم بتغيير الجسد إلى جسد روحانى سمائى !!

هذا فنحن نرفض عبارة « خصصت » وفكرة « الخلاص فى لحظة » ، لا حباً فى الجدل العقيدى ، بل فهماً لأبعاد « عملية » الخلاص ... .

وقد استخدم الكتاب المقدس كلمة « خلاص » فى هذه الأركان الأساسية الثلاثة : المعمودية ، التوبة ، تغيير الجسد !! وهذه بعض الآيات التى تثبت ذلك ... .

١ ــ المعمودية :

\+ « **من آمن واعتمد خلص** ... » (مر ١٦: ١٦) .

\+ « **الذى مثاله (مثال الفلك) يخلصنا نحن الآن أى المعمودية** » (١بط ٣: ٢١) ... مؤكداً أن المعمودية لا تعنى مجرد غسل ظاهرى « **لإزالة وسخ الجسد** (**بل فعل روح الله فى الباطن**) .. **بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح** » (١بط ٣: ٢١) .

\+ « **فدفنا معه بالمعمودية للموت ، حتى كما أقيم المسيح من الأموات**

بمجد الآب ، هكذا نسلك نحن أيضا فى جدة الحياة » (رو ٦:٤) ... وواضح هنا أن المعمودية موت وقيامة . وأنها تتم بالتغطيس (كالدفن) ... .

+ « **كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح . قد لبستم المسيح** » (غل ٢٧:٣) ... وهذا معناه أن المعمودية « صبغة (Baptism) . حيث يصبغ المسيح له المجد ، الإنسان كله ، فكراً ووجداناً وروحاً وسلوكاً .

\+ + +

٢ ــ التوبة :

فثوب المعمودية « دستاه كلنا ، ولكن دموع التوبة هى جرن ثان للمعمودية ... فالتوبة معمودية ثانية » ... كقول القديس يوحنا الدرجى ... وإليك بعض الآيات التى توضح دور التوبة فى الخلاص :

+ « **اليوم حصل خلاص لهذا البيت** » ... (لو ٩:١٩) ... قصة توبة زكا ... .

+ « **نائلين غاية ايمانكم خلاص أنفسكم** » (١بط ٩:١) .

\- « **بالرجوع والسكون تخلصون** » (اش ١٥:٣٠) .

\- « **اسندنى فاخلص . وأراعى فرائضك دائماً** » (مز ١١٧:١١٩) .

\- « **تعهدنى بخلاصك** » (مز ٤:١٠٦) .

\- « **اخلصوا من هذا الجيل الملتوى** » (أع ٤٠:٢) .

+ « ان فعلت هذا (لاحظت نفسك والتعليم) تخلص نفسك » (١تى ٤: ١٦) .

+ « الحزن الذى بحسب مشيئة الله ، ينشىء توبة لخلاص بلا ندامة » (٢كو ٧: ١٠) .

+ « احسبوا أناة ربنا خلاصا » (٢بط ٣: ١٥) .

+ « خلصوا البعض بالخوف » (يه ٢٣) .

- « لست أستحى بإنجيل المسيح ، لأنه قوة الله للخلاص » (رو ١: ١٦) .

- « أنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم ، فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا ... » (رو ١٣: ١١ــ١٤) ... [الفقرة التى كانت سبب توبة وخلاص القديس أغسطينوس] .

+ « اقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة ، القادرة أن تخلص نفوسكم » (يع ١: ٢١) .

وواضح من كل هذه الآيات ، ضرورة الجهد المؤمن ، التائب ، المشعان بكلمة الله ، ليكتمل خلاص الإنسان الذى بدأه فى المعمودية كعطية مجانية ، أما الآن فكمسئولية واعية بالتوبة !

\+ — +

٣ ــ تغير الجسد :

فطالما نحن فى جسد الخطية ... هذا الجسد الكثيف القابل للسقوط ، والمرض ، والموت ، فلن يكتمل خلاصنا ، بل لابد من خلع

هذا الجسد الترابي ، جسد الهوان والضعف ، نلبس الجسد النوراني السمائي ، الممجد ، غير القابل للمرض ولا للسقوط ولا للموت ... .

+ « **فإن سيرتنا نحن هي في السموات ، التي منها أيضا ننتظر مخلصا ، هو الرب يسوع المسيح ، الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ، ليكون على صورة جسد مجده** » (في ٣: ٢٠، ٢١) .

+ « **أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان ، لخلاص مستعد أن يعلن في الزمان الأخير** » (١ بط ١: ٥) .

ألا وهنا « **ننتظر** » مخلصاً ، وخلاصاً « **يعلن في الزمان الأخير** » ؟! إنه الخلاص النهائي ، خلاص خلع الجسد الترابي ، ولبس الجسد السمائي . هنا فقط نقول بثقة واطمئنان : « لقد خلصت !! » .

\- + -

أشواق تحققت :

يا لها من أشواق نبيلة ، تلك التي اعتملت في قلوب رجال الله ، في انتظار لمجيء الموعود ، المسيا المخلص ، الذي سينقذنا من الخطية والجحيم ، ويدخل بنا إلى القداسة وفردوس النعيم !!

+ « **خلاصك انتظرت يارب** » (تك ٤٩: ١٨) ... صرخة يعقوب أبي الأسباط !! قالها قبل مجيء السيد بأكثر من ١٨ قرنا !!

+ « **ليتك تشق السموات وتنزل** » (إش ٦٤: ١) ... صرخة أشعياء

نبي الخلاص !! النبي الإنجيلي !! صاحب « الإنجيل الخامس » !!
قالها قبل ميلاد المسيح بحوالي ٨ قرون !!

+ وبعين الإيمان ، رأى اشعياء يسوع رب المجد ، فنادى قائلاً : « **من ذا الآتي من أدوم بثياب حمر ، من بصرة ، هذا البهي بملابسه ، المتعظم بكثرة قوته ؟ .. فاجابه الرب قائلاً : أنا المتكلم بالبر ، العظيم للخلاص .. فسأله ثانية : وما بال لباسك محمرّ وثيابك كدائس المعصرة ؟ .. أجابه الرب : قد دست المعصرة وحدي ، ومن الشعوب لم يكن معي أحد** » (أش ٦٣ : ١ — ٣) .

— — +

وبعـد ...

أيها القارىء الحبيب ..
هذا يسوع المخلص ...
فهل تذهب معي إليه ...
ومع الرعاة والمجوس ...
تطلب منه أن يمتلك حياتك ...
ويخلصك من خطاياك وآثامك ..
ومن ضيقاتك وآلامك ..
حينئذ ... وحينئذ فقط ...
تم الآية المكتوبة :

« **تستقون مياها بفرح من ينابيع الخلاص** » (اش ١٢ : ٣) فترنم مع اشعياء النبي :

« هوذا الله خلاصى ... فاطمئن ... ولا أرتعب ... لأن ياه يهوه قوتى ... وترنيمتى ... وقد صار لى خلاصا » (اش ١٢ : ٢) .

\- + +

ما قيمة عيد الميلاد ...
مالم يكن عيد ميلادك أنت ...
ميلاد روحك المحبوبة ؟!

الميلاد الذى بدأ فى المعمودية ...
مجانا ...
وسيختم بخلع الجسد ..
مجانا ...
ولم يعد أمامك من مسئولية ...
سوى التوبة !!
فهل تجدد الآن ..
عهود التوبة ؟!

٤

ميلاد المسيح أعطانا ...

المجـــد

« **المجد لله فى الأعالى ... وعلى الأرض السلام ... وبالناس المسرة** » (لو ٢ : ١٤)

أما عن مجد الله ، فهذا شيء أكيد ، ففي هيكل الرب « **الكل قائل مجد** » !! (مز ٢٩ : ٩) ... .

وأما عن مجد الإنسان ، فقد كان حقيقياً قبل السقوط « **بمجد وبهاء تكللته** » (مز ٨ : ٥) ، ولكنه بعد السقوط هان على الشيطان ، وسقط تحت وطأة الخطيئة ، حتى استحق أن تتكرر صرخة روحة بن عمل الكاهن ، حين علمت بسبي الاعداء لتابوت العهد ، وموت زوجها وحميها ، وهرتية طفلها ، إذ قالت حينما ولدت طفلا ، أن يدعوه « ايخابود » أى « زال المجد » !!

نعم ، لقد زال المجد من حياة البشر ، لأن الإنسان الذى خلق على صورة الله ومثاله ، وعاش فى الجنة صديقا محبوباً من الرب ، وموضوع مسرته ولذته ، خرج شريداً حائراً يرزح تحت نير الشيطان ، ويتهاوى تحت ثقل ضربات الجسد المتمرد ، والغريزة الثائرة ، والطبيعة الملوثة !

وكان صعباً على الله أن يترك الإنسان — خليقته المحبوبة — ليضيع

سدى ، فيفرح الشيطان ، وتهوى « صورة الله » إلى قاع سحيق من المهانة .

+ **نعم ؛ كان الحكم أن يموت الإنسان ...**

لكن موت الإنسان يعنى عدم قدرة الله على الاستمرار فى مشروعه ، أو عدم حنان الله على بشر ضعيف تعرّض لإغراء العدو المشترك !! وحاش لله أن نشك فى قدرته أو حبه !!

+ **إذن ، فليسامح الإنسان ...**

وهذا أيضاً غير مقبول ؛ ففيه ضياع لحقوق العدالة الإلهية التى حكمت بموته ، وفيه استمرار للفساد الإنسانى حتى بعد مسامحته عن السقطة الأولى والخطيرة .

+ **إذن ، فليفتدى الإنسان ...**

فتجسد ابن الله ، ومات عن الإنسان ، اعمالاً للعدالة الإلهية ، وتعبيراً عن احب الإلهى فى آن واحد ... وهكذا رأينا « ***الرحمة والحق التقيا . البر والسلام تلاثما*** » (مزمور ٨٥ : ١٠) ، وأدركنا كمالات الله كلها فى حدث واحد ، وفى صورة فريدة لن تتكرر !!

\+ + +

مجد فى الأعالى ...

من هنا كان طبيعياً أن تصدح جوقات الملائكة : « المجد لله فى الأعالى » ... لأن ميلاد المخلص كان التمهيد الطبيعى لفداء والقيامة

والخلاص ... أى أنه كان التمهيد الطبيعى لاستعلان كمالات الله المطلقة غير المحدوده : الحب والعدل معا !!

وبالفعل اشتركت السماء مع الأرض فى نشودة واحدة :

- نجم يشرق فى العلاء ...
- ملائكة يرتلون فى فرح ...
- رعاة سهارى يبشرون ...
- مجوس مؤمنون يقدمون الهدايا ...
- ملائكة ترشد يوسف بعد أن تبشر العذراء ...

حقاً .. « السماء والأرض اصطلحتا » ... وحلّ السلام بينهما !!

\+ + +

وبالناس المسرة :

لا شك أن سقوط الإنسان وهوانه لم يكن ليسعد قلب الله المحب ، لكن خطة الميلاد كانت لحظة عودة للمجد المفقود من الإنسان ، فها إن الرب يتجسد ويتأنس من إنسانة ... حقا روح الله قدسها ، واقنوم الكلمة سكن فى أحشائها ، لكن مريم أعطت الرب جسداً ... فصار « القدوس المولود منها يدعى ابن الله » ...

أى مجد أعظم من هذا ؟
أن يسمح الله للإنسان أن يعطيه ...
أن يسكن الله فى أحشاء إنسان ...
أن تلد البشرية خالقها !!

أن تدعو مريم « أم الله » ...
ليس لأنها أوجدت الله ... حاشا !!
بل لأنها اعطت الرب جسداً من أحشائها بنعمته !!
هو الذى خلق مريم !!
ولكنه صار ابن مريم !!
هو الذى خلق داود !!
ولكنه صار ابن داود !!
هو الذى دعاه داود ربا !!
وهو الذى دعى نفسه ابنا لداود !!
إن الله لم يعد « مسروراً » بالإنسان فقط ...
بل ... وبالمعجب ... صار متحداً به ...
وساكنا فيه !!

+ + +

أمجـاد الميـلاد :

١ ــ مجد الإنسان الجديد :

فالله حين فسدت خليقة الإنسان الأولى ، جدد خلقة الإنسان !! فعادت إليه صورته الأصلية !!

وها نستعيد تشبيه الفنان ، الذى رسم صورة للأمير ابن الملك ... ولما سافر الأمير فسدت الصورة التى رسمها الفنان لسبب ما ... فكان لابد من عودة الأمير مرة أخرى ليعيد رسم الصورة ، ليتمتع الملك بصورة ابنه امامه !

وحينما أعاد رسم الصورة ، لم يمزق الصورة القديمة ويستخدم لوحة

جديدة ، بل أعاد رسم الصورة على نفس اللوحة القديمة ، بمعنى أنه لم يهلك الإنسان ويخلق آدم آخراً ، بل جدد آدم مرة أخرى . وأعاد إليه صورته الإلهية التي فقدها .

تشبيه محكم ... يشرح لنا به القديس أثناسيوس سر التجسد الإلهي ! إن الإنسان الجديد « **مخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق** » (أف ٤: ٢٤) . وهو « **يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه** » (كو ٣: ١٠) .

\+ + −

٢ ــ مجد العشرة الإلهية :

فبعد أن فقد الإنسان المعية الإلهية والشركة المقدسة ، وخرج شريداً إلى تيه عظيم خارج جنة عدن ، وانفصل عن الله عشيره القدوس ، ها هو يرجع ثانية إلى مجد الشركة الإلهية والاحساس الدائم بعشرة الله .

وحبذا أن تتصور معي ــ يا أخي القارىء ــ الفرق الشاسع بين « جنة عدن » ، و« جنة العهد الجديد بالنعمة » ... ففي الجنة الأولى كان آدم يتمشى مع الله ، أما في الجنة الثانية فصار الله ساكناً في أحشاء آدم !! وفي الجنة الأولى كان آدم يتغذى على النباتات والفاكهة ، أما في الجنة الثانية فصار يتناول جسد الرب ودمه !! وفي الجنة الأولى كان آدم ضحية حوار مع الشيطان ، أما في الجنة الثانية فصار آدم قادراً ــ بنعمة الفادي ــ أن « يقاوم إبليس فيهرب منه » ، وأن يسحق الشيطان مريعاً تحت قدميه ، بقوة المسيح (رو ١٦: ٢٠) !!

فهل تتمتع يا أخي القارىء بالعشرة الإلهية ؟!

+ هل تشبع كل يوم بصلوات المزامير ؟!
+ وهل تتغذى كل يوم على كلمات الكتاب ؟!
+ وهل تتناول بانتظام واستعداد وكثرة من جسد الرب ودمه ؟!
+ وهل تواظب على الاجتماعات الروحية ؟!
+ والقراءات الروحية ؟!

إن إلغاء هذه الوسائط من حياة الإنسان ، إلغاء للقنوات التى تتسكب من خلالها حياة الروح ، ومجد العشرة مع الله !!

راجع نفسك ...
وابدأ الآن !!

\+ + +

٣ ــ مجد شركة الطبيعة الإلهية ...

فقد وهب لنا الرب مواعيد عظمى وثمينة بها ، نصير شركاء الطبيعة الإلهية » (٢بط ١ : ٤) !!

ويا له من مجد عظيم ... فاق المجد الذى ناله موسى النبى حينما طلب من الرب قائلاً : « **أرنى مجدك** » (خر ٣٣ : ١٨) . وبالكاد ستره الرب فى صخرة ، وأجاز جودته أمامه ، ورأى موسى جودة الرب من خلفه ، لأن « **الإنسان لا يرانى ويعيش** » (خر ٣٣ : ٢٠) !!

بل حتى مجد من رأوا الرب بالجسد ... « **الكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده** » (يو ١ : ١٤) فكم من يهود وأمم رأوا مجد الرب فى المعجزات والتعاليم والصلب والقيامة دون أن يؤمنوا به !!

بل حتى الذين « **رأوا مجده الأسنى** » (٢بط ١ : ١٦ ــ ١٨) ، على

جبل التجلي ، كانوا ـــ حتى قبل الصلب والقيامة والخمسين ـــ يرون مسيحاً مجيداً بهياً ، دون أن يتحدوا به !

أما الآن فقد صار « **المسيح فينا ، رجاء المجد** » (كو ١:٢٧) : فهو يسكن في داخلنا :

+ « **أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم** » (١كو ٣:١٦) .

+ « **إن أحبني أحد يحفظ كلامي ، وبه أبي ، وإليه نأتي ، وعنده نصنع منزلاً** » (يو ١٤:٢٣) .

– « **إذا أظهر نكون مثله ... لأننا سنراه كما هو** » (١يو ٣:٢) .

وهكذا يسكن الله ، المثلث الأقانيم ، الواحد في الجوهر ، قلب الإنسان ، ويملأه من مجد !! الله يسكن فينا ، ونحن نسكن فيه إلى الأبد !!

إنها نعمة مفاضة على الإنسان ... لا تعني أن يصير الإنسان إلهاً ... فهو لن يستحوذ على الروح أو الآب أو الابن ، بل سينال فعل الله وسكنى الله ، تماماً كما تسكن الشمس في حجرة ، دون أن تستحوذ الحجرة على الشمس !!

\+ + +

٤ ـــ مجد الميراث الأبدي :

وهذا هو المجد النهائي ، الذي قال عنه الرب : « **أنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ، ليكونوا واحداً ، كما أننا واحد** » (يو ١٧:٢٢) .

تصور ياأخى الحبيب ...
الرب سيعطينا نفس المجد الذى له !!

+ إنه مجد « الخلود » ... لأن المسيح خالد !!
+ وهو مجد « النبوة » ... لأن المسيح هو الابن الكلمة !!
+ وهو مجد « الميراث » ... لأن المسيح هو الوارث !!
+ إنه مجد « الملكوت » ... لأن المسيح هو الملك !!
+ إنه مجد « القداسة » ... لأن المسيح هو القدوس !!
+ إنه مجد « السعادة » ... لأن المسيح هو فرحنا !!

\+ + +

وبعد ...

أيها القارئ الحبيب ...
هذه فرحة الميلاد ...
فالميلاد ... ميلادك أنت !!
وميلاد النور فى حياتك !!
وميلاد مخلصك الشخصى !!
وميلاد خلودك ومجدك الأبدى !!

ألا تشعر معى باحاجة ، أن نسجد عند قدمى المولود الإلهى ، ونرتل مع الملائكة والرعاة والمجوس : ونقدم مثلما قدموا ... .

+ **الملائكة** ... قدموا **التسبيح** ... فهيا نرتل للمسيح !!
+ **والرعاة** ... قدموا **الذبائح** ... فقدم حياتك ذبيحة للرب !!
+ **والمجوس** ... قدموا **الذهب** ... فقدم أغلى ما عندك !!
واللبان ... فقدم للرب صلواتك !!
والمر ... فقدم للرب جهاداتك وآلامك !!

هيا الآن ... لا تتوانى ... فالرب فى انتظارك فى المذود !!

يطلب من

- مكتبة الشباب ..

بطريركية الأقباط الأرثوذكس بالقاهرة

- سائر المكتبات المسيحية ..